

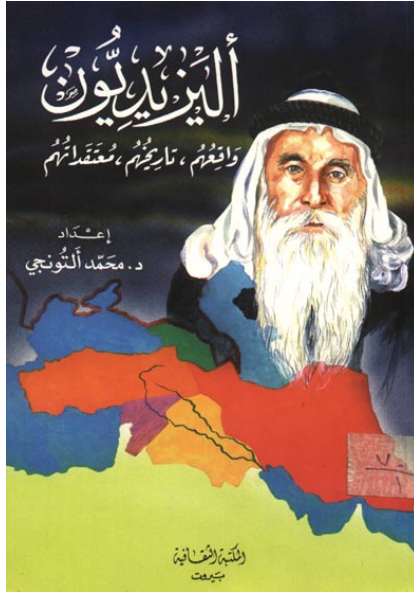
قراءة في كتاب اليزيديون واقعهم، تاريخهم، معتقداتهم

للسيد محمود الجندي

في الثلاثينات من القرن الماضي فصاعداً أصبحت الديانة الايزدية ميداناً لدراسات المؤلفين والكتاب العرب من امثال عبدالرزاق الحسيني وصديق الدمولوجي وسعيد الديوه جي ومحمود الجندي وغيرهم، ولقد حاول اغلب هؤلاء المؤلفين من اظهار الايزدية بانهم فرقة منشقة عن الاسلام بالاضافة الى محاولتهم لتشويه حقيقة الديانة الايزدية العريقة في كوردستان، ولم يستطع بعض هؤلاء الكتاب من تحرير انفسهم من الافكار الضيقة ولهذا فان كتاباتهم لم تكن مصدر ثقة بالنسبة للأيزديين وغير الايزديين وخاصة المؤرخين واصحاب الشأن فالكتاب الذي بين يدينا يقع ضمن خانة تلك الكتب والتي صدر حديثاً



شكري رشيد خيرافاهي



وتحت عنوان «اليزيديون واقعهم، تاريخهم، معتقداتهم» وهو من الحجم الوسط ومن اعداد الدكتور محمد التونجي، ويتألف من (٢٣٢) صفحة وهي من منشورات المكتبة الثقافية بيروت الطبعة الاولى ١٩٩٩، وبعد قرأتي للكتاب وجدت بعض نقاط التناقض، فضلاً عن اعتماده على بعض المصادر والمراجع ذات الطابع الديني او القومي. بالاضافة الى بعض الفقرات التي تحتاج الى الرد السليم والحاسم.

واخيراً أرجو من الدكتور محمد التونجي ان يأخذ هذه الملاحظات برحابة الصدر وادعو له المزيد من المؤلفات عن اليزيديين كما نتمنى ان يقوم بزيارة كوردستان العراق ليطلع بنفسه على حقيقة الديانة اليزيدية وواقعهم وعقيدتهم.

ان اول ملاحظة لفتت انتباهي هي الصورة الموجودة على الغلاف الاول للكتاب، فهي صورة للأيزيدي بالزي العربي وبرأي ان الهدف من هذه الصورة هو من اجل اظهار اليزيدية بانهم عرب، ولكن الدكتور يؤكد في الصفحة (٥) من كتابه بان اغلبية اليزيديين هم من الاكراد ومركزهم سنجار.

وفي نفس الصفحة ايضاً وفي السطر الثالث يذكر الدكتور ما نصه «فان النتائج لم تثبت حقيقتهم ولا انتماءهم ولا عقيدتهم ولا عددهم...». نوضح للدكتور بان نتائج

الدراسات والبحوث التاريخية والدينية ووفق براهين علمية، قد اثبتت بأن الايزدية هي ديانة كوردية قديمة بزغت في كوردستان، وحقيقتها واضحة كوضوح الشمس، اما فيما يتعلق بعدد الايزديين فان هذا يرجع الى السياسات العنصرية للدول التي يقطنها الايزديين حيث لم تجري لهم احصاءاً دقيقاً لحد الان بل يحاولون تقليل عددهم دائماً وذلك خوفاً من ان ينكشف الستار عن حقيقة الديانة الايزدية وعقيدتها وانتماءها القومي ونؤكد بأن وجود الايزديين في العراق والعالم اصبح واقعاً لا يمكن تجاهله ولا انكاره.

وفي الصفحة (١٥) والسطر الاول منه يذكر الدكتور حول اصل شيخادي ما نصه «اجمع المؤرخون واصحاب السير على ان الشيخ عدي بن مسافر الذي ينتسب اليزيديون اليه رجل صالح زاهد تقي. وهم جميعاً يؤيدون صحة نسبه الى بني أمية». نقول للدكتور بان المؤرخين لا يتفقون حول نسبه وهناك عدة آراء اغلبهم متفقون بان شيخادي بن مسافر هكاري وليس اموي. وان من بين خمسة وعشرون مؤرخاً خمسة فقط ينسبونه الى بني امية.

وفي الصفحة (٢٤) يذكر ما يلي «انه اي (شيخادي) كان يستطيع قراءة القرآن مرتين في الليلة الواحدة».

نقول اذا كان شيخادي قارئاً وحافظاً للقرآن والغرض من مجيئه الى لالش كما يذكره الدكتور هو نشر الاسلام بين الايزديين. فلماذا لا توجد من بين جميع الاقوال والنصوص والادعية الايزدية اي آية قرآنية تعود لفترة مجيء شيخادي بين الايزديين. وفي الصفحة (٥٣) وتحديداً في السطر (١١) يذكر الدكتور مايلي «ومما يجب ان يقال هنا ان اجداد اليزيديين كانوا على دين مخالف لديانة التوحيد» يود الدكتور هنا ان يبين بان الايزديين لم يعرفوا الله الا بعد اسلامهم في عهد شيخادي بن مسافر. نوكد له بان اجداد الايزديين قد عرفوا الله ولكن بلغتهم الكوردية قبل مجيء شيخادي اليهم وقد سموه ب(خودا) او خودى او ئيزدان، اي خالق نفسه وخالق العالم وللتأكيد فلازال اجداد الايزديين يحملون اسم خديدا يقابله عطا الله بالعربية.

في ص ٨٠ والسطر الاول يذكر الدكتور ما يلي «لعل احمد تيمور پاشا من اوائل

العرب الذين وجهوا الازدهان الى هذه الديانة واطلق عليهم هذا الاسم في رسالته «اليزيدية ومنشأ نحلتهم». ولكن صفحات سابقة وتحديداً في هامش ص ٦٥ يذكر ما نصه عن احمد تيمور حيث يقول «وهو احمد بن امساعيل بن محمد تيمور. عالم بالادب مؤرخ مصري كوردي الاصل وهو صاحب مكتبة ضخمة وله عدة مؤلفات توفي بمصر ١٩٣٠»!!.

فاذا كان الدكتور ينسب احمد تيمور الى العرب الاوائل وهو مؤرخ كوردي متوفي في مصر عام ١٩٣٠؟ فكيف الحال بالنسبة لشخصية شيخخادي ذلك الزاهد والتقي الكوردي الايزيدي والمتوفي قبل اكثر من ثمانية قرون مضت، وما يكتبه المؤرخون العرب القوميون عن شيخخادي يكتبونه عن شخصية البطل صلاح الدين الايوبي! فهذا هو صلب التناقض. وفي السطر الاخير من ص ٨٥ يذكر الدكتور ما يلي «وخلاصة هذا الفصل ان اليزيدية كانوا في بادئ امرهم مجوساً، ثم دخلوا في الاسلام، وانتشر الاسلام بينهم في غير عمق بحكم موقعهم».

لا ادري لماذا لا يستخدم الدكتور لفظة المجوس؟ وهل نسي الدكتور بان الديانة الزرادشتية اصبحت ديانة رسمية للأمبراطورية الفارسية الساسانية في عهد شابور الثاني. وحدثت خلافات عقائدية بين الايزديين والزرادشتية. اما بالنسبة للإسلام فيقول الدكتور بانه لم ينتشر بينهم بسبب موقعهم؟ يدرك الدكتور بان طلائع الجيوش الاسلامية وصلت الى كوردستان في سنة ١٨هـ ابان خلافة عمر بن الخطاب وتحديداً على يد قائده عياض بن غنم حيث وصلت الى جزيرة بوطات ويسمونه العرب بجزيرة ابن عمر. فهل الموقع الجغرافي للايزديين اصعب من موقع افغانستان وباكستان و.... الخ.

جاء في ص ٨٧ «ومن اهم القبائل العربية الاصل التي دخلت في الدين اليزيدي ١- قبيلة الشهبوات، ٢- قبيلة الهبابات، ٣- قبيلة عمرا، ٤- تازي».

نؤكد للدكتور بان الديانة الايزيدية من بين الديانات المغلقة اي لا يقبل الدخول اليها والخارج منها لا يعود اليها مهما كلف الامر. كما انها ليست من الديانات التبشيرية مثل المسيحية والاسلام؟ فكيف يسمح للقبائل العربية بدخولها

واعتناقها.!

وفي ص ٩٤ يستنتج الدكتور ما يلي « نستدل من هذا الاستعراض المفصل على انهم ليسوا جميعاً اكراد وحتى الاكراد منهم بعضهم مزيج من السريان واخرون من العرب وفئة من الاتراك والعجم» هنا اختلط الدكتور الحابل بالنابل من خلال هذا المزيج والخليط الغريب والعجيب والغرض منها هو صهر الايزدية في بودقة الثقافة الاسلامية وهذا هو الهدف المنشور من تأليف الكتاب. كما نقول له بان الايزديين جميعاً من الكورد وبعض المناطق فرضت عليهم قساوة النظام البائد لبس الزي العربي والثقافة العربية مثل شنغال وباشيك وبحزانة وغيرهم من المناطق.

في ص ٩٦ يذكر الدكتور وبتفاهل ما يلي « ومع كثرة الحروب ، ورغم الهجمات على قراهم، فاننا لا نشق بهذا العدد المتفاوت تفاوتاً فاحشاً. وترجح انهم اقل من ربع مليون نسمة على اي حال. ونرجح كذلك انهم يتجهون نحو الانقراض لانهم لا يمزجون دماءهم بغيرهم. ولأنهم يختلطون باهل المدن. ويدخلون في المدارس والجامعات ولأن فئة كبيرة منهم اخذت تنضوي تحت كنف الاسلام» نقول للدكتور بان الايزدية كالتهود الشامخ تصدت بوجه اعنف الهجمات عبر تاريخها الطويل من خلال اثنين وسبعون فرماناً ولازال الايزديون باقين لحد الان. اما تفاهوله بانقراض الايزدية فنقول له بانه ليس كل من دخل المدارس واختلط بالمدن سوف ينقرض او يترك دينه، فهناك ملايين العرب في امريكا ودخلوا المدارس والجامعات الامريكية فهل هؤلاء العرب انصهروا او تركوا الاسلام . اما فيما يتعلق بعدد سكان الايزديين فنؤكد ومن خلال الاعتماد على الاحصاءات الموجودة بان عدد الايزديين في العراق يوازي (٧٠٠٠٠٠) الف نسمة عدا الايزديين القاطنين في سوريا وتركيا والمانيا وجورجيا وبقية الدول العالم. كما نكرر القول بان الانظمة العنصرية تحاول دائماً التجنب من اجراء احصاء دقيق للايزديين ولكن الشمس لا تحجب بالغربال كما يقول المثل.

في ص ١٠٣ يذكر ما يلي « اما اسماءهم فشببهه جداً بالاسماء الاسلامية والعربية مثل سعيد، حسن، حسين، علي، شرف الدين، اسماعيل».

نوضح بان التأثير بالحضارات والثقافات شيء ايجابي وان الايزديين يعيشون في

وسط الثقافة الاسلامية ، ولكن الانظمة الدكتاتورية فرض على اليزيديين الاسماء العربية او الاسلامية بغية اظهار اليزيدية بمظهر عربي او اسلامي كما هو الاحال في العراق وسوريا وتركيا وايران.

وفي ص ١٣٠ وتحديدأ سطر (١٨) يذكر الدكتور ما نصه «انهم اي اليزيدية يحبون اله الشر ويقدمونه، حتى كاد تقديسهم له ينسيهم اله الخير او رب العالمين» نقول للدكتور بانك قد بينت في بداية كتابك وفي ص ٥ انهم قوم طيبون، صادقون، محافظون على الاعراض و..» هنا نسأل لو كان اليزيديون يحبون اله الشر ويقدمونه لكان اليزيديون اشراراً ولا يعرفون عن الخير ومصدره شيئاً، وهنا نؤكد بان الطيبة والصدق والاخلاق الحميدة هي من اركان الديانة اليزيدية التي عرف التوحيد قبل الاديان الاخرى ولم يسجد للأصنام والاوثنان كما كانت في ايام الجاهلية. ويعتقد اليزيدية بان الخير والشر مصدره واحد وهو (خودا) ولا يؤمن اليزيدية بوجود اله خاص بالشر. وان ورقة الشجرة لا تسقط الا بارادة الله .

وفي ص ١٣٨ وفي السطر (١٠) منه جاء ما يلي «وفي شهر رمضان يتظاهرون بالصوم مراعاة للمسلمين» هنا يتبين للدكتور في شهر رمضان لا يتظاهر اليزيديون بالصوم مراعاة للمسلمين وانما لا يتناولون الطعام امام مسلمين احتراماً لمشاعرهم. وفي هامش لص ١٤٩، يذكر ما يلي «يستدعي بعضهم اماماً مسلماً فينحني على الجثمان ويقرأ عليه ايات من القران الكريم» نؤكد بان اليزيدية ديانة قائمة بذاتها لديها تعاليمها ونصوصها وفلسفتها في الخليقة والتكوين والحياة والممات وهناك العشرات من رجال الدين المختصين بقراءة النصوص والادعية الدينية على الموتى وفي مجالس العزاء فلا حاجة لنا الرجوع الى امام مسلم او مسيحي.

وفي ص ١٥٣ وفي نقطة ٨ يذكر مايلي «من تعلم القراءة والكتابة فجزاه القتل في الدنيا والعقاب في الآخرة، ولا يجوز لأحدهم ان يتعلم العربية».

نوضح للدكتور بان تعليم القراءة والكتابة كان ممنوعاً على اليزيديين ايام كان التعليم مقتصرأ في الجوامع والمساجد، وقد افتتح ابواب التعليم على مصراعيه امام اليزيديين عندما بدأت تدرس العلوم الحياتية والاجتماعية والانسانية في المدارس

وليس في الجوامع ولا يوجد اي قيود دينية امام الايزديين يمنعمهم من تعليم اي لغة كانت عربية او انكليزية... الخ.

وفي ص ١٥٧ يذكر المحرمات وفي نقطتين ١٣، ١٤ « حرام تقليم الضافر، ولا يجوز الاغتسال على الجناية » نوضع بان الاعداء عندما فشلوا في استخدام القوة مع الايزديين من اجل تغيير عقيدتهم لجؤوا الى حملات اعلامية واسعة لتشويه حقيقة الديانة الايزدية، فظهرها للعالم بانها ديانة تؤمن بالخرافات والاساطير والمحرمات التي لا يقبلها العقل والمنطق. فهل يصدق الدكتور محمد التونجي بان الايزديون حرام عليهم تقليم الاضافر وهل الايزديون يعيشون وسط الغابات وبين قبائل الاسكيمو ولم تصلهم صوت الحضارة والثقافة.

وفي ص ١٥٨ كتب ملاحظة جاء فيها « لقد تغاضى معظم اليزيدية ولاسيما المثقفون منهم عن معظم هذه المحرمات في العصر الحاضر وراحوا يتبعون الشريعة الاسلامية او يظنون بلا دين ».

نقول للدكتور حول هذه الملاحظة: ان الايزديون تغاضوا عن الخرافات والمحرمات التي الصقت بهم من قبل اعداءهم ليس المثقفين فقط وانما عامة الايزديين، وهنا نؤكد بان الايزديون حافظوا على مبادئهم الدينية رغم الفتاوى المجحفة التي صدرت من قبل وعاظ السلاطين والتي حلت بموجبها قتل الايزديين ونهب اموالهم وسبى وبيع نساءهم في الاسواق. ونستنتج من هذا مدى ايمان الانسان الايزدي واستعداده للتضحية من اجل دينه. وفي ص ١٩١ يدرج الاعياد الايزدية وتحت رقم (٩) يذكر عيد رمضان نقول له بان للأيزديين ٧ اعياد وليست ١٣ عيد ولا يوجد من بين الاعياد الايزدية عيد باسم رمضان، كما ان عطلة الايزديين هو يوم الاربعاء المقدسة وليس يوم الجمعة.

وفي ص ٢٢٣ وفي السطر (١١) جاء ما نصه « ان معابدهم مزدانه بايات من الذكر الحكيم » نؤكد للدكتور بانه لا يوجد اي من ايات الذكر الحكيم على المعابد الايزدية سوى بقايا بعض الكلمات القرآنية في معبد لالش والتي تعود الى فترة احتلال المعبد ابان حكم السلطان عبدالحميد الثاني ١٨٧٦-١٩٠٩ وكذلك احتلالها في عام ١٩٠٥، حيث جعل من معبد لالش مدرسة دينية عنوة وتخرج منها الملاي فاذا كان

هناك ايات من الذكر الحكيم في معبد فهي تعود الى هذه الفترة .
وفي ص ٢٢٦ وهي الصفحة الاخيرة من الكتاب يأتي ويكرر الدكتور بتفاءل عميق
مايلي « ولا بد ان يأتي يوم قريب تعم فيه الثقافة الاسلامية والعربية بين سكان
الاطراف النائية، فتراهم عندئذ يتوافدون على الاسلام ، ليعودوا الى قواعدهم الاصلية
سالمين مسلمين».

نقول للدكتور ونؤكد له باننا احفاد اولئك الاجداد الابطال الذين تصدوا للمئات من
الحمالات العسكرية والتي باركها السلاطين العثمانيين والصفويين. حيث قدموا انهاراً
من الدماء والدموع من اجل ايصال الايزدياتي الى بر الامان. ونقسم بدمائهم على ان
نحافظ على تراثهم بقلوبنا واقلامنا ونحن في القرن الحادي والعشرين قرن العولمة
والمديمقراطية وحقوق الانسان و.... الخ.

وفي الختام نتمنى من المؤرخين والكتاب العرب التحرر من الافكار المتشددة والتي
لم تجلب للأمة العربية الاسلامية سوى الدمار والحراب والواقع يشهد ذلك. وان ينظروا
الى الايزديين بعقلية عصرية وان يحذوا حذوة الاستاذ زهير كاظم عبود القاضي
العراقي ذلك الانسان العربي الذي كرس جل حياته من اجل رفع البغض والظلم
التاريخي والديني والقومي التي وقع على الايزديين على امتداد التاريخ. فرغم
التهديدات والاعراءات التي وجهت الى الاستاذ زهير كاظم عبود بسبب مؤلفاته
الكثيرة عن الايزديين الا ان شجاعته وضميره الحي والانساني دفعته الى المزيد من
العطاء والمؤلفات والبحث عن الايزديين فهذا محل الشكر والتقدير.

المراجع / الاستفادة منها:

- ١- عبدالرقيب يوسف، حدود كردستان الجنوبية تاريخاً وجغرافياً ، كردستان، ٢٠٠٥
- ٢- زهير كاظم عبود، التنقيب في التاريخ الايزدي القديم، كردستان- العراق، ٢٠٠٦
- ٣- عزالدين سليم باقصري، مهرگهه.كوردستان- العراق، ٢٠٠٣
- ٤- مجلة لالش- العدد ٧ دهوك-١٩٩٧
- ٥- مجلة لالش- العدد ٢٢ دهوك- ٢٠٠٥